النفعية فى آراء إبيقور السياسية

د.جيهان السيد سعد الدين

مقدمة :

إن موضوع بحثنا هو النفعية **Utilitarianism** [1] فى آراء إبيقور السياسية ، وهذا يعنى أننا نقر بوجود آراء سياسية لإبيقور . وقد يعترض البعض على فكرة وجود آراء سياسية لإبيقور ؛ وذلك استنادًا إلى بعض نصوص إبيقور التى حث فيها تلاميذه على العيش فى عزلة عن المجتمع المدنى ، وتجنب الخوض فى متاهات الحياة السياسية ؛ لما فيها من منافسة وصراع قد يُفقد المرء هدوءه النفسى وطمأنينته [2] . من هذه النصوص قول إبيقور بإنه **'' رغم أننا يمكننا . بما لدينا من قوة وأموال ـ أن نضع أنفسنا فى مأمن من الغير ، فإن حياتنا تكون أكثر أمنًا لو آثرنا العيش الهادىء بعيدًا عن الجمهور'' [3]** . وهذا يعنى أنه **'' يجب الانعتاق من أسر المشاغل العامة '' [4]** ؛ إذ إن الانخراط فى الحياة العامة ، وإن حقق للإنسان شهرة ومجدًا أو جاهًا ، إلا أنه لا يحقق له السعادة أو الخلو من الألم . ومن ثم فإن الأتراكسيا لا تتحقق إلا باعتزال أقراننا من بنى البشر والتمتع بحياة هادئة [5] .

---

(1) المنفعة اسم من النفع ؛ وهى الفائدة التى تترتب على الفعل ، والنفعية (أو مذهب المنفعة) هو مذهب يجعل تحقيق المنفعة مبدءًا ، وتوفير أكبر قدر من السعادة قاعدة . فالأفعال الصالحة عند النفعيين هى التى توصل إلى السعادة ، أى اللذة الخالية من الألم ، والأفعال السيئة هى التى توصل إلى الشقاء ، أى الألم الخالى من اللذة . **جميل صليبا :** المعجم الفلسفى . ج2 . دار الكتاب اللبنانى . لبنان . 1982 . ص499 ،500 .

(2)SeePrior,William;Virtue&Knowledge,Routledge,London,1991,,p.207,**Bailey, Cyril ;** The Greek Atomists & Epicurus , The Clarendon Press ,Oxford,1928, p.516.

(3) إبيقور : حكمة أساسية 14 نقًلا عن **إبيقور :** الرسائل والحكم . **ترجمة ودراسة :** د.جلال الدين سعيد . الدار العربية للكتاب . بيروت . 1999 . ص211.

(4) إبيقور : حكمة فاتيكانية 58 نقًلا عن د.جلال الدين سعيد : المرجع السابق . ص220.

See.Also.Long,A.A.&Sedley,D.N.;TheHellenistic.Philosophers,Vol.1,Cambridge University Press,Cambridge, 1987 , pp. 126 ,133,**Strodach,George;**ThePhilosophy of Epicurus ,Northwestern University Press , U.S.A.,1963, p.206 .

(5) See Rist , J.M.; Epicurus, Cambridge University Press , London ,1972 , p.122 .

وقد أكد لوكريتيوس **Lucretius** ([6]) رأى إبيقور هذا ؛ إذ رأى أن الخير العائد من المناصب خير ظاهرى فحسب ، وأن الإنسان الساعى وراء السلطة السياسية يعد إنسانًا تنازل عن استقلاله الخاص من أجل الآخرين ([7]) .

ولكن على الرغم من أقوال إبيقور ولوكريتيوس السابقة فإنه لا يمكننا التصديق على رأى من أنكر وجود فكر سياسى لدى إبيقور ، إذ إنه لا يُعقل أن فيلسوفًا كأبيقور اعتقد بأن اللذة هى غاية السلوك الإنسانى . حتى لو كانت لذة تؤتى بحرص بعد النظر فى نتائجها أو عواقبها . يدعو إلى الزهد فى إحدى متع الحياة ، ألا وهى السلطان والنفوذ السياسى . وحتى إن كان إبيقور قد نصح بعدم الانخراط فى السياسة الفعلية للدولة لما سيترتب عليها من فقدان الأتراكسيا لمن اشتغل بها ، فإن هذا لا يعنى أنه لم تكن لديه آراء سياسية . فالحكيم الذى يُؤثر الوحدة بعيدًا عن الصراعات السياسية والقلاقل الاجتماعية لن يبلغ هدفه إلا تحت حماية القانون ورعايته . والقانون لا وجود له إلا داخل دولة ، ولذا فإن إبيقور بحث فى الدولة ، وكيفية نشأتها هى وقوانينها ، وتكلم عن العدالة ، والحرية ، والمساواة ، والصداقة

---

(6) تيتوس لوكريتيوس كاروس Titus Lucretius Carus : شاعر رومانى من أتباع إبيقور ، ولد عام 99ق.م. ، وتوفى عام 55 ق.م. منتحرًا وهو فى سن الرابعة والأربعين . كان رومانيًا من أسرة نبيلة ، وبرغم ذلك اعتزل الحياة السياسية . كتب قصيدة طويلة بعنوان **'' فى طبيعة الأشياء De Rerum Natura ''** مكونة من 7400 بيت ، وقد عرض فيها عرضًا كامًلا دقيقًا لآراء إبيقور فيما يختص بالطبيعة والأخلاق والمعرفة . وكان هدفه الرئيسى من كتابتها تحرير الناس من الخرافات ، وتخليصهم من الخوف من الموت ، وإنكار فكرة تدخل الآلهة فى شئون الناس . **انظر د.عبد الرحمن بدوى :** موسوعة الفلسفة ج2 . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . 1984 . ص381 . مادة لوكريتيوس ، الموسوعة الفلسفية المختصرة . **ترجمة :** فؤاد كامل ، جلال العشرى ، عبد الرشيد الصادق . **راجعها وأضاف إليها شخصيات إسلامية :** د.زكى نجيب محمود مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة . 1982 . ص275 . مادة لوكريتيوس .

(7) **محمود السيد مراد :** مفهوم الحرية فى الفلسفة اليونانية . رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية الآداب . جامعة جنوب الوادى . 1997 . ص316 . وقد نشرت بدار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر . الإسكندرية . 1999.

... إلخ من الآراء التى تعد آراءً سياسية **([8]) .**

أما عن المنهج الذى سنستعين به فى معالجة موضوع بحثنا فهو المنهج المقارن النقدى ؛ إذ إننا سنوضح أوجه التشابه والاختلاف بين آراء إبيقور السياسية وسابقيه ، حتى تتجلى لنا مدى جدة آراء إبيقور أو مسايرتها للسابقين عليه . وسنقييم هذه الآراء فنبرز ما لها وما عليها . وسنبدأ فى عرضنا لآراء إبيقور السياسية . التى تتضح فيها النفعية . بتصوره عن نشأة الدولة وقوانينها .

نشأة الدولة وقوانينها لدى إبيقور :

إن الإنسان لدى إبيقور ليس كائنًا اجتماعيًا بطبعه ([9]) ، وإنما يلجأ للاجتماع مع بنى جنسه طلبًا للحماية والأمان ([10]) . فالبشر يشعرون غريزيًا بالمعاناة الناتجة عن الحياة الانعزالية ويدركون فوائد الحياة الاجتماعية ؛ إذ **''تحقق للفرد الحماية ممن سواه من بنى جنسه ''** **([11])** ، علاوة على حمايته من الحيوانات المفترسة التى تعتدى عليه وتقتله ([12]) . فالدولة لا تنشأ إلا لتوفير الأمن والطمأنينة، وبخاصة من عدوان الغير ؛ ذلك أن الناس أنانيون بطبعهم، ولا يسعون إلا لما فيه خيرهم الخاص ، وخير كل منهم يكون مهددًا بأفعال الآخرين الصادرة عن هذه الأنانية ذاتها . وبناء عليه يبرم الناس اتفاقًا على أن لايلحق أحدهم بمقتضاه ضررًا بالآخر ولا يُصاب بضررٍ منه ([13]) . **'' فيتعاقد الجيران مع بعضهم البعض على أن لا يؤذى أى منهم الآخر''** **([14]) .** فأساس العقد . كما أوضح لوكريتيوس فى قصيدته -

---

(8) انظر د.جلال الدين سعيد : إبيقور : الرسائل والحكم . ص147 ، 148.
Everson , Stephen (edit.) ; Ethics , Cambridge University Press , Cambridge , 1998, p.131.

(9)SeeFarrington,Benjamin;TheFaith.of.Epicurus,Weidenfeld.&.Nicolson. London, 1967 , p.27 , **Bailey, Cyril ; Op.Cit.,** p.511.
(10) Vogel , C.J. ; Greek Philosophy , Vol. III , E.J.Brill , Leiden , 1964 , p.40
(11) Prophyry; On Abstinence , I , 10 , 1-12 quot. from **Long & Sedley ;** The Hellenistic Philoso. , Vol. 1 , p.130.
(12)See Lucr., De Rer. Nat. , B.V , 1101-27,**Irwin, Terence;** Classical Philosophy, Oxford University Press , Great Britain, 1999,pp.370,371.
(13) جورج سباين : تطور الفكر السياسى . ك1 . **ترجمة :** حسن جلال العروسى . **تصدير:** د.عبد الرازق أحمد السنهورى **. مراجعة وتقديم :** د.عثمان خليل عثمان . دار **=**

إنما هو تجنب الإيذاء المتبادل . فالدولة أساسها التعاقد، ولا تنشأ إلا باتفاق الأفراد على قوانين تضبط العلاقات والمعاملات المتبادلة ، وتحقق ـ فى نفس الوقت ـ مصالح الأفراد ([15]) . فما يضمن لكل فرد حقوقه إنما هو نوع من الميثاق القائم على التواضع ، يحترم فيه الإنسان حقوق غيره ، لكى يحصل منهم على مثل هذا الاحترام لحقوقه . ومن ثم فالفرد يتنازل عن جزء من حقوقه مقابل ما سينعم به من هدوء أو سكينة ، أو بعبارة أخرى نظير ما سيترتب عن هذا التنازل من لذة أو منفعة ([16]) . ويؤكد إبيقور هذا المعنى فى قوله **'' إن الحق الطبيعى تعاقد نفعى'' ([17]) .**

ومما يسهل وجود هذا التعاقد الاختيارى بين أفراد المجتمع الواحد أن احتياجاتهم ما زالت محدودة ، ومن ثم فليس لديهم الدافع أن يتنافسوا ويتصارعوا مع بعضهم البعض . وقد سمّى لوكريتيوس هذا المجتمع القائم على التعاقد باسم مجتمع الأصدقاء ؛ لأن أفراده بوصفهم أصدقاء لا يتعاقدون مكرهين ، وإنما باختيارهم ([18]) .

ومما تقدم يتضح أن إبيقور قد أقام الحياة الاجتماعية على أساس مبدأ

= المعارف . القاهرة . 1971 . ص171 ، 172.

(14) Lucreti,Titi Cari; De Rerum Natura,**Transl. with Commentary by:**Cyril Bailey, Oxford University Press, London,1947, B.V,1019-1027,**See Also Mitsis , Phillip** ; Epicurus.Ethical Theory , Cornell University Press , London , 1988 ,p.105, **Jones , Howard;** The Epicurean Tradition , Routledge , London , 1992 , p.47**.**

(15) محمود مراد : مفهوم الحرية فى الفلسفة اليونانية . ص316.

See Also Dunning , William ; A History of Political Theory , Macmillan Company, London , 1930 , p.103.

(16) See Mitsis ; Op. Cit. , pp81,.82.

(17) إبيقور : حكمة أساسية 31 نقلاً عن **إبيقور :** الرسائل والحكم . ص212 .

See Also Farrington ; The Faith of Epic. , p. 77.

(18) See Nichols , James ; Epicurean Political Philosophy , Cornell University Press , London , 1976 , pp.129,130,146.

المنفعة ، فالبشر يجتمعون طلبًا للحماية ([19]) . فلا يوجد شيء اسمه العدالة فى ذاتها ، والحقوق الطبيعية ما هى إلا قواعد للسلوك يوافق البشر على أن يتبعوها نظراً لما تحققه من منفعة أو فائدة ([20]) . فمذهب إبيقور لم يترك سوى طريق واحد يتبعه الفرد فى إقامة أى علاقات اجتماعية بما فيها تكون الدولة ذاتها ؛ ألا وهو النظر فى الفوائد المترتبة على هذه العلاقات . وقد أوضح إبيقور هذا المعنى فى قوله **'' إذا اكتسب المرء ثروة عظيمة فهو يوزعها على الآخرين كى يفوز بمودتهم''([21]) .**

وإذا كان إبيقور قد جعل المنفعة الفردية أساس إقامة العقد الاجتماعى ، ومن ثم إقامة الدولة ، فإنه لم يغفل ضرورة وجود وسيلة لحماية هذا العقد الاجتماعى ، ومن ثم حماية حقوق الأفراد المشاركين فيه . وقد وجد إبيقور ضالته فى القانون .

إن القانون عند إبيقور كالدولة ، قائم على العقد الاجتماعى ([22]) ؛ إذ إنه لما **'' أُنهك البشر من الحياة فى صراع ، وشعروا بالضعف نتيجة للأحقاد والكراهية فيما بينهم ، فإنهم كانوا على استعداد . بإرادتهم . أن يخضعوا للقوانين والقواعد الصارمة التى تحدد الحقوق '' ([23]) .** فلا يوجد عدل فى ذاته ، ولا ظلم فى ذاته، و**إنما '' العدل تعاقد مبرم فى أى مكان كان وفى أى عصر كان ، والغاية منه ألا يلحق أحد ضررًا بغيره أو يلحقه منه ضرر '' ([24]) .** وعلى هذا **'' فلا معنى للعدل والظلم بالنسبة إلى الكائنات التى لم تتعاقد على عدم الإساءة إلى بعضها البعض '' ([25]) . '' فالتعليمات التى تنص عليها القوانين وتقر بعدلها ،**

---

(19) انظر إبيقور : حكمة أساسية 40 نقلاً عن **إبيقور : مرجع سابق** . ص214.
Long & Sedley ; Hellen. Philoso. , p.126.
(20) Thilly , Frank ; A History of Philosophy , Henry Holt & Company NewYork, 1929 , p.103.

(21) إبيقور : حكمة فاتيكانية 67 نقلاً عن **إبيقور :** الرسائل والحكم . ص 221.

(22)See Laertius,Diogenes;Lives of Eminent Philosophers,**Transl. By:** R.D.Hicks, Vol.II , Harvard University Press , London ,1979, B.X ,150 ,152.

(23) Lucreti,Titi Cari; De Rerum Natura , V , 1134 – 1150 , **See Also Nichols; Op. Cit.** , p.143.

(24) إبيقور : حكمة أساسية 33 نقلاً عن **د.جلال الدين سعيد : إبيقور :** الرسائل والحكم **=** = ص213.

هى تلك التى يشهد الجميع أنها مفيدة للروابط الاجتماعية (.) ولكن إذا وضع بعضهم قانونًا لا يخدم مصالح الجميع ، فإن هذا القانون لن يملك أبدًا صفة العدل''(26). والقانون العادل هو ذلك الذى يحقق فائدة من اتفقوا على اتباعه وأقروه .

والذى يدفع الناس للتعاقد على التزام العدل هو رغبتهم فى الشعور بالأمان والطمأنينة ؛ إذ **'' يتمتع العادل بقرارة نفس كاملة ، أما الظالم فيساوره قلق شديد'' (27) . '' فالحياة العادلة خالية تمامًا من الاضطراب '' (28)** ، والخلو من الاضطراب ، أى الشعور بالسكينة ، هو الذى يقودنا إلى السعادة ، وكما قال إبيقور **'' إننا لا نكون سعداء دون أن نكون حكماء ونزهاء وعادلين '' (29) ، ''ومن يكون فاقدًا لإحدى هذه الأشياء، كأن يكون حكيمًا مثلاً ، لايمكن له العيش فى سعادة حتى لو كان نزيهًا وعادلاً ''** (30) .

---

(25) إبيقور : حكمة أساسية 32 نقلاً عن **د.جلال الدين سعيد : المرجع السابق** . ص212.
See Also Oakeley , Hilda ; Greek Ethical Thought , J.M.Dent &Sons.LTD,London, 1925 , p. 198 , **Prior ;** Virtue & Knoweldge , p. 206 .

(26) إبيقور : حكمة أساسية 37 نقلاً عن د.جلال الدين سعيد : مرجع سابق . ص213.
See Also Strodach;The Philos. of Epicurus,pp.202,203**,De Witt,Norman Wentworth;**Epicurus&HisPhilosophy,University.of.Minnesota.Press,Minneap-olis, 1954 , pp. 296 , 297.

(27)إبيقور : حكمة أساسية 17 نقلاً عن **د.جلال الدين سعيد : مرجع سابق** . ص211.
See Also Bailey ; Gr. Atomists & Epic., pp.511,513 , **Rist;** Epic., pp.123 ,124.

(28) إبيقور : حكمة فاتيكانية 12 نقلاً عن د.جلال الدين سعيد : إبيقور : الرسائل والحكم ، ص216.
See also Mitsis ; Epic. Ethical Theory , pp.63 ,64.

(29) إبيقور : رسالة إلى مينيكايوس . 132 نقلاً عن د.جلال الدين سعيد : المرجع السابق ص207. **وانظر أيضًا إبيقور : حكمة فاتيكانية 5 نقلاً عن د.جلال الدين سعيد : المرجع السابق،** ص215.

(30) إبيقور : حكمة أساسية 7 نقلاً عن د.جلال الدين سعيد : المرجع السابق . ص209.

(31)Zeller,Eduard;Outlines.of.the.History.of.Greek.Philosophy,**Transl.by:**L.R. Palmer , **Revised by :** Wilhelm Nestle , Dover Publications , New York,1980,p.240.
وانظر أيضًا محمد رزق موسى : المدرسة الإبيقورية . أصولها وآثارها . رسالة ماجستير

ومما هو بيّن أن هدف كل قانون . عند إبيقور . إنما هو حماية المجتمع من الظلم ، والحكيم . بعلمه بالضرر . هو فقط من يمتنع عن الأفعال الظالمة ، بينما الجماهير يجب ردعهم وإجبارهم على طاعة القانون بالعقاب ([31]). فالخوف من العقاب له تأثير على هؤلاء الذين ينتهكون القوانين. فالعنف والإيذاء يعود معظمه على ذلك الذى اقترفه . وليس من السهل على أى شخص ينتهك العقد الذى أُبرم لإشاعة السلام أن يحيا حياة هادئة وسالمة ، لأنه حتى إذا هرب من مراقبة الآلهة والبشر ([32]) فإنه **'' لن يكون على يقين من أنه لن يُكتشف ، حتى إذا كان قادرًا فى الحاضر على الإفلات آلاف المرات '' ([33]) .** فالقوانين تقدم السكينة لمن عاش فى ظلها أو كنفها ، وقد وُجدت من أجل الحكيم الذى لا يرتكب الشر ـ لحصافته ونظره فيما سيترتب على إتيانه للشر من عواقب ـ لحمايته من معاناة الشر والألم ([34]) . ومما لا ريب فيه أنه **'' إذا أُستبعد القانون من الدولة، فإن البشر سيرتدون إلى حياة الغاب''([35])** ؛ أى إلى حياة تشبه حياة الوحوش الكاسرة.

وطالما أن المصالح والمنافع قد تختلف من شعب لآخر ومن دولة لأخرى، فإن القوانين ستختلف من دولة لأخرى . وحتى داخل الدولة الواحدة نجد أنه **'' بالنسبة إلى بلد ما وبالنظر إلى ظروف محددة لا يكون الشىء ذاته عادلاً بالنسبة إلى الجميع''([36]) . '' فرغم أن الظروف لم تتغير ، فإن القوانين التى تُعد عادلة لم تعد فى الواقع موافقة لمفهوم العدل '' ([37]) .**

وبناء على ما سبق نرى أن إبيقور قد جعل أساس وجود القانون داخل

غير منشورة . جامعة الأسكندرية . فرع دمنهور . 2003 . ص185.

(32) Nichols ; Epic. Political Philos., p. 145.

(33) إبيقور : حكمة أساسية 35 نقلاً عن د.جلال الدين سعيد : إبيقور : الرسائل والحكم، ص213 ، **وانظر أيضًا حكمة أساسية 34 فى نفس المرجع السابق .**

Long & Sedley ; Hell. Philos.,Vol. I , pp. 125 , 129 .

(34)See.Sedley,David;The.Inferential.Foundations.of.Epi.Ethics.in.**Everson;**Ethics p. 131 .

(35) Plutarch ; Adversus Colotem , 1124 Quot. From **Mitsis;** Epic. Ethical Theory, p. 89.

الدولة أساسًا نفعيًا . ومن ثم فالقانون يتسم بالنسبية ([38]) ؛ نظراً لاختلاف وجهات نظر البشر فيما يحقق نفعهم أو فائدتهم . ومما لا ريب فيه أن جذور هذه النظرة النسبية للقانون وفكرة العقد الاجتماعى عند إبيقور ترتد إلى السوفسطائيين ، ولذا فإننا سنوضح هاتين الفكرتين لديهم حتى يمكننا عندئذ أن نبين أوجه التشابه والاختلاف بين وجهة نظرهم ووجهة نظر إبيقور .

كان برتاجوراس أول من تبنى نظرية العقد الاجتماعى بين السوفسطائيين. فالدولة لديه . كما كانت عند أفلاطون وأرسطو . أساسها احتياج الفرد لسواه . والحاجة عند بروتاجوراس ، هى الحاجة للحماية والشعور بالأمان ، سواء من عدوان الحيوانات المفترسة أو من عدوان البشر. لذا سعى الإنسان لتأسيس المدن والاتحاد للمحافظة على ذاته ([39]) . واتحاد الإنسان بسواه من بنى جنسه إنما جاء طواعية

---

(36) يقصد جميع المواطنين .

إبيقور : حكمة أساسية 36 نقلاً عن **د.جلال الدين سعيد** : **مرجع سابق** . ص213 . **وانظر أيضًا إبيقور : حكمة فاتيكانية 6 ، 7** نقلاً **عن نفس المرجع السابق** . ص215 ، 216.

(37) إبيقور : حكمة أساسية 38 نقلاً عن **د.جلال الدين سعيد : المرجع السابق** . ص213 . **وانظر أيضًا جورج سباين :** تطور الفكر السياسى . ك1 . ص 172 ، 173 .

(38) كان بروتاجوراس أول من صرح بالنسبية ، وذلك يتضح من قوله : **''إن الإنسان مقياس كل الأشياء ، مقياس الأشياء التى توجد (.) ومقياس الأشياء التى لا توجد '' .**

أفلاطون : ثياتيتوس . **ترجمة وتقديم :** د.أميرة حلمى مطر **ـ دار المعارف .** القاهرة 1986. 161 ج ، **وانظر أيضًا بروتاجوراس : شذرة** 1 نقلاً عن **د.أحمد فؤاد الأهوانى**: فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط . دار إحياء الكتب العربية . القاهرة . 1954 . ص264 .

فالإنسان معيار كل وجود وعدم ، وكل شىء موجود بالصورة التى تبدو لى . فمثلاً العسل قد يبدو حلوًا لشخص ومرًا لآخر . فهو ليس حلوًا فى ذاته ولا مرًا فى ذاته ، وإنما حلو بحسب ما يبدو لمن حكم عليه بالحلاوة ومر بحسب من بدا له أنه مر . وهذا يعنى أنه لا وجود للعالم بما فيه من موجودات فى حد ذاته . أى وجود موضوعى . وإنما هى توجد . وبصورة معينة . بحسب إدراكى الحسى لها **.انظر أفلاطون : المصدر السابق، 151 .**

Kerferd,G.B.;The.Sophistic.Movement,Cambridge.University.Press,Cambridge, 1984 , pp. 84 ,85 .

(39) انظر أفلاطون : بروتاجوراس . **ترجمة وتقديم وتعليق :** د.عزت قرنى . مكتبة سعيد = = رأفت . القاهرة . 1982 . 322ب . **أرنست باركر :** النظرية السياسية عند اليونان . ج1. **ترجمة :**

وباختيار حر ممن سعوا إليه ، ونتيجة لموافقتهم عليه([40]).

وهذا الاتحاد . الذى يحدده العقد المبرم بين أطرافه والذى يوضح لكل طرف ما له وما عليه . إنما هو تعاقد يحقق للمتعاقدين مصالحهم الشخصية ، ويتنازل الفرد فيه عن جزء صغير من حريته من أجل الحفاظ على الجزء الأعظم منها ([41]) .

فى بداية الاتحاد ـ كما جاء فى أسطورة بروتاجوراس ([42]) ـ كان البشر يظلمون بعضهم بعضًا ، لذلك أرسل زيوس إليهم هرميس ليهبهم العدل والمثل العليا ؛ لتكون مبادىء منظمة للدول وللعلاقات الإنسانية . وكان المطلوب من البشر هو قبولهم مبدأ العدالة هذا ([43]) . ونجد أن الضامن لاتباع أفراد المجتمع الواحد لهذا العقد هو القانون .

إن القوانين لدى السوفسطائيين ([44]) من ابتداع البشر . فهى ليست من صنع الآلهة أو الطبيعة ، وإنما تُعد نتيجة لاتفاق مبرم بين المواطنين لحماية حقوقهم الفردية من اعتداء الآخرين عليها والعكس . فالقانون عقد وُجد من أجل منع الجريمة وحفظ الحقوق المختلفة . فنحن لا نعتدى على جيراننا أبداً، بل نكتفى بالدفاع عن أنفسنا إذا اعتدوا علينا . والقانون هو الذى يحدد لنا ما ينبغى أن يُفعل وما لا ينبغى أن يُفعل ([45]) .

والدولة لا تفرض القوانين فرضًا على مواطنيها ، وإنما تتحقق العدالة فحسب من خلال إقرار الفرد بطاعة هذه القوانين . فالأمر كله وقف على إرادة الفرد الحرة . والقوانين يحترمها الأفراد طالما أنها تحقق مصالحهم . ولكن هذا لا يعنى

لويس أسكندر . **مراجعة :** د.محمد سليم سالم . سجل العرب القاهرة . 1966. ص119 ، 120.

(40) See Farrington ; The Faith of Epic., pp. 23 , 78 , 126.

(41) See De Witt ; Epicurus & His Philosophy , p. 185.

(42) أفلاطون: بروتاجوراس . 322 ج .

(43) Kerferd ; The Sophistic Movement , p. 142.

(44) نقصد هنا على وجه التحديد بروتاجوراس ، وجورجياس ، وليكوفرون Lycophron ، وهيبياس ، وأنطيفون ، وكريتياس ، وتراسيماخوس ، وكاليكليس .

أن القوى . كما قال كاليكليس فى محاورة جورجياس([46]). يتبع دومًا القانون ، وإنما هو يخرق هذه القوانين كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً ([47]) .

فالقانون يُنتهك إذا أمن المرء من اكتشاف أمره ، ومن ثم نيل العقاب. ويبرر أنطيفون إمكانية خرق القوانين بقوله بأن بنود القانون أشياء طارئة ووليدة الاتفاق **([48])** ، وذلك بعكس قواعد الطبيعة التى تتسم بالحتمية ، وهذا يعنى أنه **''إذا تخطى المرء القواعد القانونية دون أن يُكتشف أمره أمام أولئك الذين وضعوا الاتفاق أصبح فى حل من العقوبة (.) والأمر بخلاف ذلك إذا تخطى الإنسان القواعد الكامنة فى الطبيعة (.) فإن العواقب الوخيمة لهذا العمل لن يعتريها نقص فى حالة افتضاح أمره ، ولن تزداد لو علم الناس جميعًا بهذا العمل '' ([49]) .**

والقوانين تتسم عند السوفسطائيين بالنسبية ؛ بمعنى أنها تتغير من بلد لآخر، بل إنه يسهل تغييرها داخل البلد الواحد من وقت لآخر ، إذا لم تعد تؤد الغرض الذى وُجدت من أجله ، ألا وهو تحقيق منفعة المواطنين . فالشىء العادل هو ما تحدد الدولة كونه عادلاً . وبقاء القانون مرهون . كما قال ليكوفرون . بتحقيقه الحياة السعيدة لكل المتعاقدين عليه ([50]) .

بعد عرضنا لوجهة النظر السوفسطائية فيما يختص بنشأة الدولة والقانون داخلها نرى أنه برغم تشابه إبيقور والسوفسطائيين فى جعل الدولة وما بها من قوانين قائمًا على الاتفاق الموجود بين المواطنين الأحرار ، إلا أن هناك اختلافًا بينهما فيما يختص باحترام بنود العقود المتفق عليها . فبينما يرى السوفسطائيون أنه لا ضرر من انتهاك بنود العقد طالما أننا على يقين من عدم اكتشاف الأمر ومن ثم نيل

---

(45) See Kerferd ; Ibid. , pp. 148 , 149 ,157.

أرنست باركر : النظرية السياسية عند اليونان . ج1 . ص128 .

(46) Plato ; Gorgias , **Transl By :** W.R.M.Lamb , Loeb Classical Library , William Heinemann LTD , London , 1953 , 483.

(47)See Guthrie,W.K.C.; The Sophists , Cambridge University Press , Cambridge, 1971 , pp.137 , 138.

(48) انظر أنطيفون : رسالة عن الحق نقلاً عن **أرنست باركر :** النظرية السياسية . ج1 ص153 ، 154 . **وانظر أيضًا محمود مراد :** مفهوم الحرية فى الفلسفة اليونانية **.** ص224، 235 .

(49) أنطيفون : **رسالة عن الحق** نقلاً عن **أرنست باركر** : **المرجع السابق** . ص153، 154.

(50) See Guthrie ; Op. Cit. , pp. 138 , 146 .

العقاب ، نجد إبيقور يقول إنه حتى لو استطعت أن أخرق بنود الاتفاق سرًا وبدون اكتشاف الأمر فإننى لن أنجو من العقاب ، ويُقصد بالعقاب هنا العقاب النفسى ؛ أى تأنيب الضمير على فعل الشر . وهذا العقاب النفسى الذى يفقدنى الطمأنينة أبشع من العقاب البدنى الذى قد يحيق بى إذا اكتشف بقية المواطنين خرقى لبنود العقد ([51]) .

بعد أن أوضحنا فكرة الاتفاق أو العقد بوصفها الأساس لنشأة الدولة وقوانينها عند إبيقور ، فإننا سنبين فيما يلى تصور إبيقور عن الحرية ؛ إذ إن العقد لا وجود له إلا بين أطراف تختار وجوده ، أى بين أناس أحرار .

<u>الحرية الإنسانية لدى إبيقور :</u>

أقر إبيقور بحرية الإنسان فى اختيار أفعاله ، سواء الخيرة أو الشريرة([52]) .

---

(51) See Mitsis ; Epic. Ethical Theory , p. 90 .

(52) انظر إبيقور : حكمة فاتيكانية 65 نقلاً عن د.جلال الدين سعيد :إبيقور : الرسائل والحكم . ص221.

تشابه إبيقور فى إقراره هذا بالحرية الإنسانية مع السوفسطائيين . من أمثال بروتاجوراس وجورجياس ، وهيبياس ، وأنطيفون . فقد آمنوا بالحرية الإنسانية ، وصار معهم للرأى الفردى وزنه الذى يُعتد به ، وأصبح الإنسان . بما يتمتع به من عقل حر . هو الحكم الأوحد فى المعرفة، والأخلاق ، والسياسة . فالحقيقة ترتكز . وكذلك الخير والشر . على إرادة الإنسان الواعية . **انظر محمود مراد : مرجع سابق** . ص209 ، 211 ، 213 ، 215 ، 226 ، 232، 240.

(53) يقصد إبيقور بلفظ (بلا علة) الذى نسبه لانحراف الذرات أنه **'' بلا علة خارجية سابقة لحدوثه '' .**

Cicero ; On Fate , 21 – 25 quot. From **Long & Sedley ;** The Hellen. Philos.,Vol.1, p.105.

وهذا يعنى أنه لا ينفى وجود علة ما لحدوث الانحراف ، ولكنها ليست علة محددة سابقة على هذا الانحراف نعرفها ، ومن ثم يمكننا التنبؤ بحدوث هذا الانحراف فى هذا الوقت والمكان بالذات دون سواه .

وقد أقام فكرته عن الحرية الأخلاقية على أساس طبيعى مستند إلى تصور انحراف الذرات الذى يحدث بلا علة ([53]) فى أى وقت وفى أى مكان([54]).

وقد هاجم إبيقور صور الحتمية كافة ([55]) ، سواء فى مجال الطبيعة أو فى مجال الأخلاق ؛ إذ إنه لا يُعقل أن نكون مسئولين عن أفعالنا ، وفى نفس الوقت يجب أن تحدث هذه الأفعال على النحو الذى حدثت به ؛ نظرًا لأنها نتيجة لازمة عن أحداث سابقة عليها لا نملك نحن أى سيطرة عليها ([56]) .

وقد صرح إبيقور بنفوره هذا من القدر فى قوله **'' لعله من الأفضل أن نصدق بالأساطير المتعلقة بالآلهة على أن نخضع للقدر الذى يقول به الطبيعيون ؛ ذلك أن الأسطورة لا تجعلك تفقد الأمل فى إمكانية استعطاف الآلهة (.) فى حين أن القدر يتصف بالحتمية المطلقة التى لا يمكن ردها '' ([57]) .** وفى نص آخر يقول : **'' إن الضرورة شر، ولكن لا توجد ضرورة أن نحيا تحت سيطرة الضرورة '' ([58]) .** وفى نص ثالث يقول : **'' لقد توقعت ضرباتك . يا دهر . ولقد وضعت لك حواجز حتى لا تصيبنى . لن ننهزم أمامك ولا أمام أى ظرف آخر '' ([59]) .** فأفعالنا نابعة منا نحن ، ونحن وحدنا المسئولون عنها ، وليس

---

(54)See.Osler;Margaret;Fortune,Fate&Divination,in.**Osler;Margaret**;Atoms, Pneuma&Tranquillity,Cambridge.University.Press,Cambridge,1991,pp.165,166, **Oenoanda, Diogenes ; Fr. 32** quot. From **Rist;** Epic., p.93.

(55) ينبغى أن لا يُفهم من هذا الكلام أن إبيقور نفى الضرورة تمامًا ، إذ إنه اعتقد أن **'' بعض الأشياء تُنسب إلى الضرورة ، وأشياء أخرى ترجع للحظ ، وفئة ثالثة تُنسب إلينا '' .**

Epic.;Letter to Menoeceus,133 – 134,**De.Witt;**Epic.&His.Philos.,p.172.

فللضرورة وجود . لدى إبيقور . ولكن وجودها مقصور على الأحداث الماضية والحاضرة ، أى تلك التى يمكن وصفها بأنها حدثت أو لم تحدث .

(56)See Irwin ; Classical Philos. , pp. 237 , 238 , **Bakewell , Charles ;** Source Book in Ancient Philosophy , Charles Scribner Sons , New York , 1907 , p. 301.

(57) إبيقور : رسالة إلى مينيكايوس نقلاً عن **د.جلال الدين سعيد** : **إبيقور :**الرسائل والحكم . ص 207**.**

See Also Laert. , Diog. ; Lives of Emin. Philosop. , Vol.II, X , 134**.**

(58) إبيقور : حكمة فاتيكانية 9 نقلاً عن **د.جلال الدين سعيد : إبيقور : المرجع السابق = =** ص216.

See Also Strodach ; The Philos. of Epic. , p.204.

(59) إبيقور : حكمة فاتيكانية 47 نقلاً عن **د.جلال الدين سعيد :إبيقور : المرجع السابق** . ص

لحدوثها أى علة سوى اختيارنا نحن لها وقيامنا بها([60]). فلا مجال لدى إبيقور للقول بقدر يوجه أفعالنا أو بعناية إلهية تدفعنا ، أو تمنعنا عن القيام بفعل ما .

وقد ربط إبيقور بين الاختيار ـ وبالتالى المسئولية ـ وبين العقل ([61])؛ ذلك أن العقل هو الذى يفكر فى النتائج المترتبة على الفعل قبل إتيانه ، فيدفعنا للقيام بالفعل إذا كان جالبًا للذة ، أو ينهانا عنه إذا كان سيسبب لنا ألمًا . وحرية العقل فى الفعل والترك إنما تستند إلى كون العقل ذاته مكونًا من ذرات كبقية موجودات العالم ، وهذه الذرات تنحرف تلقائيًا ؛ فتدفعنا للإقدام على فعل شىء معين ، أو تجعلنا نُحجم عن فعل آخر ، وفقًا لما يروق لها ، وهذا هو ما نسميه الإرادة . وهذه الإرادة يتحكم بها العقل ؛ فيسايرها إذا كان الفعل جالبًا للذة ، أو يخالفها إذا كان الفعل جالبًا للألم . فنحن ـ بوصفنا كائنات عاقلة ـ لدينا القدرة على أن نفكر ونتحكم فى رغباتنا ، فنختار ما نريد بالعقل ، ونرفض إشباع ما لا يراه العقل ملائمًا ([62]) .

وإذا كان إبيقور قد نسب الإرادة الحرة للإنسان العاقل فحسب ، فإن تلميذه لوكريتيوس لم يكتف بذلك ؛ إذ رأى أنه ليس الإنسان فحسب هو الموجود الحر فى هذا الكون ، وإنما الحيوانات أيضًا تتمتع بالحرية ؛ إذ إنها مركبة كالبشر تمامًا من ذرات تتسم بحركتها الحرة . ومما لا ريب فيه أن قول لوكريتيوس هذا يجب أن يُقبل على حذر ؛ إذ إن الحيوانات وإن كانت حرة أى مريدة ـ إذ تفعل ما تريد وقتما تريد

.219

See Also Bailey ; The Gr. Atomists & Epic. , pp. 506 , 507

(60)See.Furley,David;Two.Studies.in.the.Greek.Atomists,PrincetonUniversity Press , U.S.A. , 1967 , p. 184 .

(61) يعد العقل أحد أجزاء النفس عند إبيقور ، وهو عظيم الشفافية ، ويسميه إبيقور الأنيما **Anima** ومركزه الصدر ، ويوجد جزء غير عقلانى للنفس ، منتشر فى كل الجسم، ومسئول عن الرغبات والدوافع غير العقلانية ، ويسميه إبيقور الأنيموس **Animus .** وما يحدث عند الفعل هو أن الجزء العقلانى من النفس . الأنيما . يصدر الأوامر إلى الأنيموس المنتشرة فى أعضائنا الحسية بالإقبال أو الإحجام عن الفعل ؛ إذ إن الأنيموس تخضع خضوعًا كاملاً للأنيما . ولما كانت ذرات الأنيما حرة فى حركاتها ، فإن أفعال الإنسان التى تصدر عنها تكون حرة بدورها . **محمود مراد :** مفهوم الحرية فى الفلسفة اليونانية . ص 306 .

(62) انظر محمود مراد : المرجع السابق . ص 306 ، 307 ، 313 **.**

بدافع من غرائزها ورغباتها الجسدية . إلا أنها ليست مختارة. فهناك فرق ـ كما قال أرسطو ـ بين الإرادة والاختيار . فالإرادة مجرد اشتهاء أو رغبة، بينما الاختيار **'' يستلزم وجود عقل وتفكير ''** **(63)** ، فهو يعد **''رغبة مسترشدة بالعقل ''** (64) . والاختيار طالما قُرن بالعقل لا يصح نسبته إلا إلى الإنسان العاقل فحسب ، وهذا هو ما قاله إبيقور .

وقد تجلى إيمان إبيقور بالحرية الإنسانية فى موقفه من الرقيق ؛ إذ يرى أن الحكيم يجب أن **'' لا يعاقب عبيده ، ولكن يعطف عليهم ، ويعفو عمن يستحق منهم ذلك العفو'' (65) .** فالعبد . من وجهة نظر إبيقور . إنسان عاقل مساوٍ لغيره من بنى البشر ، له مشاعر وأحاسيس ، ويمكن أن نسوسه من خلال هذه المعاملة الحسنة، حتى إنه يمكن أن نتخذهم أصدقاء لنا ، وهو ما قام به إبيقور بالفعل داخل مدرسته(66) .

ومما لا ريب فيه أن وجهة نظر إبيقور هذه عن الرقيق تختلف عمّا آمن به كل من أفلاطون وأرسطو فيما يختص بالعبيد ؛ إذ إنهما نظرا للعبيد نظرة متعالية ، بدا فيها نفيهما لكون العبيد بشراً يملكون عقولاً وأحاسيس ومشاعر ، وتصورا أن العبيد ما هم إلا أدوات حية أوجدتها الطبيعة لخدمة السادة وتيسير أمور حياتهم . ولو كانت أى أداة يمكنها أن تعمل من ذات نفسها لاستغنى العبيد عن السادة ، ولكن لما كان هذا محالاً ولابد لكل أداة من عقل يوجهها ، فلا غنى للعبيد عن السادة الذين يوجهونهم إلى ما يحقق منفعتهم وفائدة سادتهم . ومن منطلق امتلاك السادة للعقل أباح أفلاطون وأرسطو للسادة حرية التصرف الكاملة فيما يتعلق بعبيدهم . (67)

---

(63)Arist.;Ethica.Nicomachae,**Transl.by:**W.D.Ross.in.The.Works.of.Aristotle, **Under The.Editorshipof:**W.D.Ross,Vol.IX,Oxford University Press,London,1915, III,Ch. 2 , 1112 a 17.

(64) Ibid. ; B. IV , Ch.2 , 1139b 4-5.

(65) Laert., Diog. ;Lives of Emin. Philos. , Vol.II , X , 118 ,**See Also Bailey ;** Gr. Atomists , p. 518, **Farrington ;** The Faith of Epic. , p. 23.

(66) See Rist; Epic., p. 136 , **De Witt**; Epic . & His Philos. , p. 306.

بعد أن بينا وجهة نظر إبيقور فى حرية الإرادة الإنسانية ، وربطه بين الاختيار والعقل ورفضه للحتمية ، نلمح تشابهًا واضحًا بينه وبين السوفسطائيين من جهة ، وبينه وبين أرسطو من جهة أخرى . فأما السوفسطائيون فقد ربطوا ـ كإبيقور ـ بين حرية الإرادة الإنسانية والمسئولية الأخلاقية عما نفعله . سواء أكان خيرًا أو شرًا . والمسئولية مترتبة على كون الإنسان كائنًا عاقلاً . فالفعل الحر المسئول ـ كما عرفه جورجياس فى رسالته '' الدفاع عن بالاميدس '' ـ هو الفعل الذى يفعله الإنسان انطلاقًا من الاختيار العقلى الواعى النابع من داخله ([68]). وهذا الاختيار الإنسانى للخير ـ كما قال بروديقوس . لا يتم اتخاذه مرة واحدة وللأبد ـ كما زعم أفلاطون فى أسطورة '' آر '' المذكورة فى محاورة ''الجمهورية''ـ وإنما هو اختيار نقوم به فى كل فعل من أفعالنا ؛ فقد نختار الخير فى موقف ما ، بينما نفعل الشر فى موقف آخر وفق ما يتراءى لنا فى هذا الموقف أو ذاك . وهذا يعنى أن الصراع الأخلاقى دائم ، وأن الاختيار الإنسانى الحر والمسئول لا يتوقف طالما أن الإنسان حى يتأثر بما حوله وبمن يحيطون به .

وكما تشابهت آراء إبيقور عن الحرية والمسئولية مع السوفسطائيين ، فإنها تشابهت أيضًا مع ما أبداه أرسطو من آراء بخصوص هذه الموضوعات. ويمكننا حصر أوجه الشبه بين إبيقور وأرسطو فى عدد من النقاط ؛ **أولها :** إقرارهما بأن الإنسان حر فى أن يفعل الخير أو الشر ، **وثانيها :** قولهما بأن الاختيار . وبالتالى تقرير ما يجب فعله . لا يتم إلا بعد تفكير متأنٍ فى النتائج المترتبة على الفعل أو الترك . **وثالثها :** ربطهما بين الحرية الإنسانية والمسئولية الأخلاقية وما يصاحبهما من ثواب وعقاب ، **ورابعها :** نفيهما للحتمية أى للقدر الذى يسيطر سيطرة كاملة على أفعال الإنسان ، فيسلبه القدرة على الاختيار ، وبالتالى مسئوليته عن ما يفعله

---

(67) انظر عبد السلام الترمانينى : الرق . ماضيه وحاضره . عالم المعرفة . المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب . الكويت . نوفمبر 1979 . ص23 .

Arist.; Politica , **Transl. By :** Benjamin Jowett , in The Works of Aristotle , **under the Editorship of:**W.D.Ross,Vol.X,Clarendon Press,Oxford,1949,B.I,Ch.2,1252a 25-b2,Ch.5,1254b16-31,Ch.13,1260a13,Ethica.Nico.,B.VIII,Ch.11,1161b.

(68) محمود مراد : مفهوم الحرية فى الفلسفة اليونانية . ص236.

. ولكن برغم نقاط التشابه السابقة ، فإنه يوجد اختلاف بيّن بين أرسطو وإبيقور؛ فإذا كان إبيقور قد رفض كل أنواع الحتمية ، سواء فى مجال الطبيعة أو الأخلاق حتى يُنقذ الحرية الإنسانية ، فإن أرسطو بوصفه عالمًا طبيعيًا لم يكن لينكر وجود قوانين تسيطر على ما يحدث فى الطبيعة من ظواهر وأحداث ([69]) .

وإجمالاً لما سبق نرى أن إبيقور ، وإن كان قد جعل الحرية الإنسانية أساس وجود المجتمع وما ينظمه من قوانين ، إلا أن العقد الاجتماعى وبنود القوانين يمكن انتهاكها ، لذا فإن ما يحفظ استقرار المجتمع وسلامته . من وجهة نظر إبيقور . إنما هو تأسيسه على مشاعر الصداقة التى تربط أفراده بعضهم ببعض . وسنوضح . فيما يلى . وجهة نظر إبيقور عن الصداقة ، وأهميتها داخل الدولة .

الصداقة عند إبيقور :

نظر إبيقور للصداقة بوصفها من العلاقات الاجتماعية التى تربط بين أفراد المجتمع برباط وثيق ، وتشيع السلام والأمن بين أرجائه . وعندئذ ينعم الفرد بالطمأنينة الداخلية أو الأتراكسيا ([70]) . فإذا أصبح أفراد المجتمع أصدقاء فلن يتعدى أى منهم على حقوق صديقه ويسلبها ؛ إذ إن كل واحد منهم يحب الآخر ويحتاج له ليشعر بأمنه الشخصى . فمن يرد أن يعيش حياة هادئة دون أن يخشى شيئًا من الآخرين ينبغى أن يصنع لنفسه أصدقاء . أما ذلك الذى لا يستطيع أن يصادق الآخرين ، فإن عليه على الأقل أن يتجنب جعلهم أعداء له ([71]) . وإذا ما أصبحت الصداقة هى ما تربط أفراد المجتمع بعضهم ببعض ، فإننا عند ذاك لن نحتاج للقانون الذى يقيم العدالة داخل المجتمع ([72]) .

---

(69) See Irwin ; Classical Philos., pp. 237 , 239 , **Rist;** Epic., pp. 94 ,97.

(70) انظر إبيقور : حكمة أساسية . 27 نقلاً عن د.جلال الدين سعيد : إبيقور : الرسائل = = والحكم . ص213، **حكمة فاتيكانية 51** نقلاً عن **نفس المرجع السابق** . ص220 .
Bailey ; The Gr. Atomists & Epic. , pp. 517 , 519 , 520.

(71) **فريدريك كوبلستون :** تاريخ الفلسفة . ج1 . اليونان وروما . **ترجمة :** د.إمام عبد الفتاح إمام . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . 2002 . ص545 .
See Rist ; Epic., pp. 128 , 130 , 135 .

(72) يتفق رأى إبيقور هذا عن الصداقة ودورها داخل الدولة مع رأى أرسطو . الذى ذكره فى

وقد جعل إبيقور **'' المنفعة أصل الصداقة ''** (73) **. '' فلا يوجد شخص يهتم بآخر إلا من أجل منفعته ''** (74) **.** فالدافع لإقامة الصداقات ـ عند إبيقور ـ دافع نفعى خالص (75) ، ألا وهو شعور الفرد بالحماية والأمان . **'' فنحن لسنا فى حاجة إلى مساعدة أصدقائنا بقدر ما أننا فى حاجة إلى التأكد من مساعدتهم وقت الحاجة''** (76) **.** فالصداقة قائمة على الأنانية وحب الذات ، وهذا شىء متوقع من مذهب يجعل اللذة الشخصية والخلو من الألم غايتين للسلوك الإنسانى .

ولكن برغم أهمية أن ننتفع بأصدقائنا ، إلا أن المنفعة ليست السبب الوحيد للصداقة عند إبيقور ، وقد عبر عن هذا المعنى بقوله **'' إن ذلك الذى يبحث عن المنفعة فحسب لا يمكنه أن يكون صديقًا ، ولا ذلك الذى يستبعد كلية المنفعة عن الصداقة؛ إذ الأول يتاجر بمشاعره ، والثانى يحرمنا من كل أمل فى المستقبل ''** (77) **.** فالصداقة تحتل

كتابه '' الأخلاق النيقوماخية '' . والذى ينص على أن **'' الصداقة تربط الدول بعضها ببعض ، ولذا يهتم بها مشرعو القوانين أكثر من العدالة (.) فعندما يكون الرجال أصدقاء فليس بهم حاجة للعدالة ، بينما عندما يكون الأشخاص عادلين فإنهم يحتاجون أيضًا للصداقة '' .**

Arist.;Ethica Nico.,B.VIII,Ch.I,1155a,23-26**,See Diogenes of Oenoanda;**21,1, 4-14,2,10.14 **quot. from Long&Sedley;**Hellen.Philos.,p.134,**Pangle,Lorraine;** Aristotle & The Philosophy of Friendship ,Cambridge University Press,New York, 2003 , p.79.

(73) إبيقور : حكمة فاتيكانية . 23 نقلاً عن **إبيقور : مرجع سابق** . ص217 .

(74) Lactantius; Divin. Instit. ,III ,17 – 42 quot. from **Bailey;** Gr. Atomists ,p..519.

(75) عارض أرسطو كون الصداقة الحقيقية أساسها المنفعة . صحيح أن الصداقة قد تُبنى على أساس المنفعة ، أو اللذة ، أو الفضيلة ، ولكن صداقة المنفعة واللذة لا تدوم إلا بقدر ما يحقق المرء المنفعة أو اللذة ممن يدعى أنه صديقه .

See Arist.; Ethica Nico. , B.VIII , Ch.3 , 1156a 7,8,17,18, Ch.8,1159b10,11,B.IX , Ch.5,1167a15-21 , **Pangle, Lorraine;Op. Cit.,**pp.39,40.

أما الصداقة الحقيقية . من وجهة نظر أرسطو . فهى الصداقة القائمة على الفضيلة . إذ يحب الأصدقاء بعضهم من أجل ذواتهم وما يتسمون به من صفات . ومما لا ريب فيه أن صداقة الفضلاء **'' تحتاج لوقت وألفة (.) إذ إن الأشخاص لا يعرفون بعضهم البعض حتى يأكلوا الملح سويًا '' .**

Arist.;Ibid.,B.VIII,Ch.3,1156b24.

(76) إبيقور : حكمة فاتيكانية . 34 نقلاً عن **د.جلا الدين سعيد :إبيقور :** الرسائل والحكم .

مكاناً مهمًا جداً فى نمط الحياة الإبيقورى ، فهى كما قال إبيقور **''تُختار لذاتها ، برغم أنها قد أُختيرت فى البداية لما تحققه من فوائد ''** (78) **.**

فيجب . إذا أردنا أن نحيا فى سعادة دائمة . أن نحرص على الصداقة ، وأن نحب أصدقائنا بنفس الدرجة التى نحب بها ذواتنا ، فنتعاطف مع أصدقائنا فى فرحهم ، وفى مصائبهم (79) . فنتألم إذا ما عانى أصدقائنا بنفس درجة الألم التى كنا سنحس بها لو كان هذا هو مصابنا . وقد عبر ديوجنيز لائرتوس عن نزعة إبيقور هذه التى تتسم بإيثار الأصدقاء وبالغيرية فى قوله **'' إن الحكيم الإبيقورى سيكون على استعداد أن يعانى أقصى الآلام من أجل صديقه ، لدرجة أنه قد يموت من أجله''**(80) **.** فهو قد يخوض الأخطار ويتحمل الآلام من أجل أصدقائه .

ومما سبق يبدو لنا وجود رأيين متناقضين لإبيقور عن الصداقة ؛ إذ إنه تارة يتحدث عن الصداقة وكأنها نوع من الاتفاق ، يتفق فيه الأصدقاء على مساعدة بعضهم البعض ، أى أنها تُقام على أساس المصلحة الشخصية أو المنفعة(81) ،

ص218 .

See Also Bailey ; Gr. Atomists , p.520 , **Rist;** Epic. , p.130.

(77) **إبيقور : حكمة فاتيكانية . 39** نقلاً عن **د.جلا الدين سعيد : المرجع السابق** . ص218، 219.

(78)إبيقور : حكمة فاتيكانية . 23 نقلاً عن **د.جلا الدين سعيد : المرجع السابق** . ص217.
See Also De Witt ; Ibid. , pp. 173,301 , 308 , 309.

(79)انظر إبيقور : حكم فاتيكانية . 56 ، 66 نقلاً عن **د.جلال الدين سعيد : المرجع السابق،** ص220 ، 221.

See Mitsis ; Epic. Ethical Theory , pp. 99 , 102 , 113 ,**Cicero ;** On Ends , I , 66 -70 quot from **Long & Sedley ;** Hell. Philos. , Vol.I , p.132.

أكد أرسطو . قبل إبيقور . حاجتنا إلى الأصدقاء سواء فى أفراحنا أو أحزاننا . ورأى أن **''الصداقة ضرورية أكثر إذا ماصادف المرء الحظ العاثر (.) فالأصدقاء يشاركوننا همومنا ، وحتى إذا لم يحدث هذا فإن مجرد وجودهم بما يدخلونه علينا من سرور يخفف من همومنا ''.**

Arist. ; Ethica Nico , B.IX, Ch.11 , 1171a , **See Also Ibid. ;** B.VIII , Ch.1 , 1155a 5- 12 .

(80) Laert. ,Diog.; Lives of Emin. Philosop. , Vol.II, X ,120

(81) تتشابه الصداقة هنا مع العدالة فى كونهما قائمين على الاتفاق الاختيارى بين أفراد المجتمع الواحد ، إلا أن إحداهما . نعنى الصداقة . قائمة على أساس مساعدة الصديق لصديقه ، والأخرى .

وتارة أخرى يتحدث عن الصداقة بوصفها علاقة إنسانية بحتة ، تتسم بالغيرية والإيثار ؛ إذ إننا نحب لأصدقائنا ما نحبه لذواتنا ، ونكره أن يصيبهم ما نكرهه لأنفسنا . **فأيهما يا تُرى يعبر عن حقيقة موقف إبيقور من الصداقة؟ وهل هذان الرأيان متناقضان فى جوهرهما أم أن تناقضهما ظاهرى فحسب ؟**

نعتقد أن إبيقور ـ صاحب مذهب اللذة ـ برغم أنه جعل الدافع الأساسى لإقامة الصداقة هو المصلحة الشخصية التى تتمثل فى شعور الفرد بالأمان ، إلا أن هذا لا يعنى أنها تظل السبب الوحيد لاستمرار الصداقة . فبعد أن نكون الصداقات تظهر المشاعر الإنسانية فنحب أصدقاءنا ونكره ما قد يسبب لهم الألم . وهذا يعنى أن التناقض البادى فى نصوص إبيقور عن الصداقة تناقض ظاهرى فحسب ، وأن وجهتى نظره عن الصداقة متكاملتان ؛ فهى تبدأ بدافع نفعى خالص، ولكنها تستمر بعد ذلك نظرًا لما يربط الأصدقاء من محبة . ولكن قد يُثار سؤال وهو : إذا كان أساس الصداقة المنفعة وقبل أن تصبح العلاقة بين الأصدقاء حميمة **فماذا سيحدث لو تعارضت مصالحى مع مصالح صديقى ، فأيهما سأختار: مصلحتى أم مصلحته؟**

من المؤكد أنه فى بداية الصداقة القائمة على المنفعة لو حدث تعارض بين مصلحتى ومصلحة صديقى فإننى سأؤثر مصلحتى ، ولكن بعد أن تتوطد علاقتنا بعضنا ببعض فإننى سأؤثر مصلحة صديقى على مصلحتى ، وليس ذلك بدافع الحب فقط ، وإنما أيضًا من منطلق المنفعة . لأن هذا الصديق لو شعر بأنانيتى هذه قد أفقد صداقته ، ومن ثم أفقد شعورى بالأمان أو الأتراكسيا ، وهى التى سعيت من أجلها . أساسًا . لإقامة صداقات ([82]) .

ومما لا ريب فيه أن الفلسفة الإبيقورية التى جعلت سعادة الفرد هدف كل

نعنى العدالة . قائمة على أساس ألا يؤذى أحد أفراد المجتمع الآخرين .
See Rist ; Epic. , pp. 131 ,133 , **Mitsis ;** Epic. Ethical Theory , pp. 109 , 110.

(82) See Mitsis ; Ibid. , p.113.
(83) See Bailey ; TheGreek.Atomists & Epic.,pp.522, 527 .

سعى أو فعل أدت إلى اتجاه أنانى لا يبالى فيه الفرد بالآخرين ([83]) . ولا ينظر إلى ما يحقق مصالحهم كما يراعى هو ما يحقق مصلحته ، ومن ثم انتفى . فى العلاقات الاجتماعية داخل دولة إبيقور . ما يُسمى بالإيثار ، أو التضحية ، أو الغيرية . وقد أُقيمت كل العلاقات داخل المجتمع بالنظر إلى المنفعة ، أو الفائدة التى ستعود على من سعوا لتكوين تلك العلاقات .

خاتمة :

إجمالاً لما سبق نرى أن لإبيقور آراءً سياسية اتسمت بالنفعية . وقد تابع فى آرائه تلك السوفسطائيين من جهة ، وأرسطو من جهة أخرى ؛ فأما السوفسطائيون فقد وافقهم فى عدة نقاط : **أولها** رأيهم القائل إن نشأة الدولة ترجع للعقد المبرم بين أفرادها ، **وثانيها** فكرة أن القانون الحامى لاستقرار الدولة وأمنها ما هو إلا قواعد يُتفق على اتباعها بين من تعاقدوا على تكوين الدولة . **وثالثها** انتفاء وجود ما يُسمى عدلاً فى ذاته أو ظلمًا فى ذاته ؛ إذ العدل والظلم مسألة نسبية يحددها واضعو القوانين ، وتبعًا لذلك فهى تختلف من دولة لأخرى ، ومن عصر لعصر داخل الدولة ذاتها . **ورابعها** إيمان كل من السوفسطائيين وإبيقور بالمساواة وإنكارهم للتمييز الطبقى ، والتفرقة بين السادة والعبيد . فكلنا بشر لنا عقول تختار، ونعد مسئولون عن اختياراتنا ، فنُثاب ونُعاقب عليها .

أما أرسطو فقد اتفق معه إبيقور فى عدد من النقاط : **أولها** إقرارهما بالحرية الإنسانية فى الفعل والترك ، ومسئولية الإنسان عما يفعل سواء أكان خيرًا أم شرًا . **وثانيها** نفيهما لفكرة وجود قدر يوجه أفعالنا حسبما يريد ويشاء. **وثالثهما** إيمانهما بأهمية وجود الصداقة بين أفراد المجتمع الواحد ؛ إذ إن وجودها سيضمن أمن المجتمع وأمانه ، وسيقيم العدالة بدون الحاجة لوجود قوانين تقيمها .

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر :

أ. المصادر المترجمة إلى العربية :

إبيقور : 1. حكم أساسية

ـ : 2. حكم فاتيكانية

ـ : 3. رسالة إلى مينيكايوس

ضمن كتاب **إبيقور :**الرسائل والحكم ـ **ترجمة ودراسة :** د.جلال الدين سعيد الدار العربية للكتاب . بيروت . 1991.

4ـ أفلاطون : بروتاجوراس **. ترجمة وتقديم وتعليق** : د.عزت قرنى . مكتبة سعيد رأفت القاهرة . 1982.

5ـ ــ : ثياتيتوس **. ترجمة وتقديم :** د.أميرة حلمى مطر . دار المعارف القاهرة . 1986.

ب . المصادر الأجنبية :

1-Aristotle;Ethica Nicomachae,**Transl.by:**W.D.Ross in The Works of Aristotle,**Under The Editorshipof:**W.D.Ross,Vol.IX,Oxford University Press,London,1915.

2-Aristotle;Politica,**Transl.By:**Benjamin.Jowett,in The Works of Aristotle, **under the Editorship of:**W.D.Ross,Vol.X,Clarendon Press , Oxford, 1949.

3-Laertius,Diogenes;Livesof.Eminent.Philosophers,**Transl.by:**R.D.Hicks, Vol.II Harvard University Press , London,1979.

4-Lucreti,Titi Cari;De Rerum Natura,**Transl. with Commentary by:**Cyril Bailey, Oxford University Press, London,1947.

5-Plato;Gorgias,**Transl By:**W.R.M.Lamb,Loeb Classical Library,William Heinemann LTD , London , 1953.

ثانياً : المراجع :

أ . المراجع العربية :

1ـ د.أحمد فؤاد الأهوانى : فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط . دار إحياء الكتب العربية . القاهرة . 1954 .

2ـ أرنست باركر : النظرية السياسية عند اليونان . ج1 **. ترجمة :** لويس اسكندر . **مراجعة** : د.محمد سليم سالم . سجل العرب القاهرة . 1966 .

3ـ جورج سباين : تطور الفكر السياسى . ك1 . **ترجمة :** حسن جلال العروسى . **تصدير:** د.عبد الرازق أحمد السنهورى . **مراجعة وتقديم :** د.عثمان خليل عثمان . دار المعارف . القاهرة . 1971 .

4ـ عبد السلام الترمانينى : الرق . ماضيه وحاضره . عالم المعرفة . المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب . الكويت . نوفمبر 1979 .

5ـ فريدريك كوبلستون : تاريخ الفلسفة . ج1 . اليونان وروما . **ترجمة:** د.إمام عبد الفتاح إمام . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . 2002 .

ب . المراجع الأجنبية :

1-Bailey,Cyril;The Greek Atomists&Epicurus,The Clarendon Press,Oxford 1928.

2-Bakewell,Charles;Source Book in Ancient Philosophy,Charles Scribner Sons,New York,1907.

3-De Witt,Norman.Wentworth;Epicurus&HisPhilosophy,University of Minnesota.Press,Minneapolis , 1954.

4-Dunning,William;A History of Political Theory,Macmillan Company, London,1930.

5-Everson,Stephen(edit.);Ethics,Cambridge University Press,Cambridge 1998.

6.Farrington,Benjamin;TheFaith.of.Epicurus,Weidenfeld.&.Nicolson London, 1967.

7-Furley,David;Two Studies in the Greek Atomists,Princeton University Press,U.S.A.,1967.

8-Guthrie,W.K.C.;The Sophists,Cambridge University Press,Cambridge, 1971.

9-Irwin,Terence;Classical Philosophy,Oxford University Press,Great Britain ,1999.

10-Jones,Howard;The Epicurean Tradition,Routledge,London,1992.

11-Kerferd,G.B.;The Sophistic Movement,Cambridge UniversityPress, Cambridge,1984 .

12.Long,A.A.&Sedley,D.N.;TheHellenistic.Philosophers,Vol.1,Cambridge University Press,Cambridge,1987.

13-Mitsis,Phillip;Epicurus Ethical Theory,Cornell University Press,London 1988.

14-Nichols,James;Epicurean Political Philosophy,Cornell University Press London,1976.

15-Oakeley,Hilda;Greek Ethical Thought,J.M.Dent & Sons LTD, London , 1925.

16-Osler;Margaret(edit.);Atoms,Pneuma&Tranquillity,Cambridge Univ. Press,Cambridge,1991.

17- Osler;Margaret;Fortune,Fate&Divination,in**Osler;Margaret**;**Ibid.**
18-Pangle,Lorraine;Aristotle&The Philosophy of Friendship,Cambridge University Press,New York,2003.
19-Prior,William;Virtue&Knowledge,Routledge,London,1991.
20-Rist,J.M.;Epicurus,Cambridge University Press,London,1972.
21.Sedley,David;The Inferential Foundations of Epicurus Ethics in**Everson;** Ethics.
22-Strodach,George;The Philosophy of Epicurus,Northwestern University Press,U.S.A.,1963.
23Thilly,Frank;A.History of Philosophy,Henry Holt&Company,NewYork 1929.
24-Vogel ,C.J.;Greek Philosophy,Vol. III , E.J.Brill,Leiden,1964.
25-Zeller,Eduard;Outlines of the History of Greek Philosophy,**Transl.by:** L.R.Palmer**,Revised by:**Wilhelm Nestle,Dover Publications,New York, 1980.

ثالثاً : الرسائل العلمية :

1. محمد رزق موسى : المدرسة الإبيقورية . أصولها وآثارها . رسالة ماجستير غير منشورة . جامعة الأسكندرية . فرع دمنهور . 2003 .

2. محمود السيد مراد : مفهوم الحرية فى الفلسفة اليونانية . رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية الآداب . جامعة جنوب الوادى . 1997. وقد نشرت بدار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر . الأسكندرية . 1999.

رابعاً : المعاجم ودوائر المعارف :

1. جميل صليبا : المعجم الفلسفى . ج2 . دار الكتاب اللبنانى . لبنان . 1982 .

2. د.عبد الرحمن بدوى : موسوعة الفلسفة . ج2 . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . 1984.

3. الموسوعة الفلسفية المختصرة . **ترجمة :** فؤاد كامل ، جلال العشرى ، عبد الرشيد الصادق . **راجعها وأضاف إليها شخصيات إسلامية :** د.زكى نجيب محمود . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة . 1982.